اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 09-01-2009 رقم العـدد: 14809 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 160 رقم القصاصة: 1

تفعيل الاحتجاج العربي هو أضعف الإيمان

د. حمد بن عبدالله اللحيدان

بالطبع مثل هذه الإستراتيجية يمكن تبنيها من حيث المبدأ من قبل كل دولة عربية حتى وإن كانت منفردة في غياب الإجماع وهذا يخلق منافسة شريفة تغطي التصور الحاصل. كما يجب أن يكون للجامعة العربية دور فاعل فيه وأن تتخلى الجامعة العربية عن دورها الجامد والروتيني وتتبنى سياسات أكثر فعالية

■ الاختلافات بين الأشخاص وكذلك بين الأمم والدول تحكمها دائماً مبادئ ومصالح، وكانت المبادئ في القديم وحتى عهد ليس بالبعيد هي الأساس الذي يعول عليه فكل شيء يمكن مناقشته والحديث عنه حتى يصل الموضوع إلى المساس بالمبدأ وهنا تتشكل ما يسمى بالمواقف الأساسية التي لا يمكن الحيود عنها أو التزحزح عنها حتى ولو قيد أنملة، ذلك أن المساس بالمبدأ أياً كان نوعه يعتبر إعلان حرب أو انتهاكا للسيادة أو تحديا وتجرأ على كرامة وعزة هذا الطرف أو ذاك. وكانت بقية المصالح تعمل وتستخدم لخدمة ذلك الغرض السامي وهو المبدأ.

أما اليوم فإن المبادئ في كثير من دول العالم أصبحت شعارات تسطر ضمن مواد الدستور يتزينون بها ويفاخرون بها الآخرين ويرددونها في خطبهم ومنتدياتهم كما يقدمون بها أنفسهم عند الحديث عن دولهم. ولو أن كل دولة من الدول وأعني المتقدمة منها طبقت ما ينص عليه دستورها. في سياساتها الخارجية لوجد عالم يسوده الأمن والاستقرار. ذلك أن تلك الدساتير تشير إلى محاربة التفرقة العنصرية وارساء قواعد العدل والسلام والإيمان بمبادئ منظمة الأمم المتحدة وفروعها المختلفة ومناهضة العنف والجور بجميع صوره وألوانه والحض على مساعدة القوي للضعيف في جميع المجالات التي تخدم وتسعد البشرية. ناهيك عن احترام نتائج الانتخابات الديمقراطية حتى وان أتت بمن لا يرغبون فيه. نعم إن كثيراً مما تنص عليه دساتيرهم يطبق داخل حدود بلادهم بصورة نسبية لكن ما يخص منها العلاقات الخارجية والدول الأجنبية خصوصاً المغلوبة على أمرها. فإن المصلحة تغلب عليه أي تصبح المصلحة هي الفيصل الذي يحكم وليس المبدأ. وعلى العموم فإن العصر الحديث قد شهد ميلاد كثير من القوانين والأنظمة الجيدة وأولها مبادئ الثورة الفرنسية التي لو استقرأها الإنسان بدقة وتمعن لم يجد فيها جديدا فجميع البنود الجيدة فيها: مستمدة من الشريعة الإسلامية التي سبقت تلك الثورة بأكثر من اثني عشر قرناً. ثم تلت فرنسا في هذا الاتجاه دول أوروبا وأمريكا ثم جاءت بقية دول العالم وأعني دول العالم الثالث مقلدة لا مبدعة حيث بدأت تكتب الدساتير وتعلن عنها ثم يتم نسيانها ضمن المحفوظات في الأرشيف العام. ولا ينتبهون لها مرة أخرى إلا عند حدوث انقلاب عسكري أو نحوه حيث يتم تبديل المواد أو كتابة دستور بديل يحكمه هوى من أمر به بحيث يفصل الحديث على الحدث. وقد يحتاج الأمر الى تمثيلية تضع النعامة رأسها فيه معتقدة أنها وصلت إلى قمة الديمقراطية وكأن الأمة من مثقفين وسياسيين وإعلاميين ومفكرين وعلماء قطيع لا يفهم شيئاً. فنتيجة الانتخابات تأتي أربع تسعات ٩٩,٩٩٪ أو أكثر أي اجماعا منقطع النظير لا يتحمل فيه من بيده السلطة حتى مجرد الإشارة إلى أن هناك معارضة حتى بنسبة ٢ الى ٣ بالمائة. وهذه الحساسية تجاه المعارضة تكون مرافقة له طوال مدة إدارته المديدة فليس هناك رأي آخر بل إن الرأي الآخر مرفوض جملةً وتفصيلاً وإن لم يكن علناً وبصورة رسمية. والقاعدة الفيزيائية تقول إن لكل فعل ردة فعل مساو له في القوة مضاد له في الاتجاه، وأعني أن سبب ذلك الخلل في دول العالم الثالث أن المعارضة ليست ديموقراطية أيضا فإن اشتدت تعدت حدودها ولم تلتزم بالنظام وإن احتجت لجأت إلى العنف والتخريب وإن أسكتت بزمام الأمور انتقمت شر انتقام واصبحت اشد دكتاتورية ممن انتقدته وهي خارج الحكم حيث يظهر تحكم العنصر الشخصي في الحكم والادارة في اوضح صورة. و هذا لا يحدث في الدول المتقدمة وهذا شاهد في كثير من الدول مما يجعل ردة فعل النظام هو عدم السماح بوجود معارضة من هذا النوع. إن الاحتجاج في دول الغرب مسموح به والاعتراض مسموح به أيضاً لكن ضمن حدود النظام واللياقة. فإذا أرادت مجموعة من الناس الاحتجاج على قانون معين أو قرار معين فإنهم يتجمعون في أدب ثم يكتبون احتجاجهم على لافتات كبيرة، ثم يشكلون مسيرة سلمية كبيرة يحرسها ويشرف عليها رجال البوليس المدججين بالهراوات والسلاح والويل كل الويل لمن يعبث بالأمن أو يخل بالنظام العام، أو ينتهك الحرمات أو الممتلكات العامة والخاصة.

أما في دول العالم الثالث فإن الاحتجاج على أمر معين يأخذ شكل العنف منذ اللحظة الأولى فالشجار والحرق والتكسير أهم معالمه ناهيك عن الخسائر في الأرواح وهذا أمر مرفوض ممجوج لا يبرره العقل ولا المنطق ولا المبدأ ولا المصلحة العامة ولهذا السبب تمنعه بعض الدول بصورة تامة.

والحديث عن الاحتجاج تبرز أهميته هذه الأيام مع العدوان الآثم على غزة والذي مازال مستمراً حيث قدم أهالي غزة حوالي (٣٠٠٠) جريح وأكثر من ستمائة قتيل من شباب فلسطين وفي مقدمتهم الأطفال والنساء والشيوخ لقد رافق تلك الحرب القذرة شيء من الاحتجاج الشعبي في بعض الدول العربية والأجنبية ولاشك أن

اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 09-01-2009 رقم العـدد: 14809 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 160 رقم القصاصة: 2

لتلك الاحتجاجات ردود فعل إيجابية في جميع أنحاء العالم خصوصاً في العواصم الغربية ان تلك الاحتجاجات أخذت عدة أنواع منها ما اتصف بالدعم المادي مثل الحملة التي أمر بها الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله لجمع التبرعات في المملكة العربية السعودية والتي أدت الى جمع أكثر من مائة مليون ريال خلال أقل من أربع وعشرين ساعة ومنها ما كان على شكل مظاهرات تضامنا مع مقاومة أهل غزة في فلسطين للجبروت الإسرائيلي المدعوم من القوى الامبريالية والصهيونية والخوف هو العودة الى نسيان أخبار ذلك التظلم والاجحاف والقتل والتدمير بمجرد سكوت المدافع وترك العدو يتهنى بمجازره وغطرسته.

والذي يمكن قوله هو إذا كان احتجاج الشارع العربي سواء كان ماديا ويتمثل بالتبرعات المادية والعينية أو معنويا ويتمثل في مظاهرة الاحتجاج السلمي الذي لا يسيء إلى الأمن والنظام والاستقرار وفي نفس الوقت يظهر عدم الرضى عن همجية العدو والمتمثلة في قتله للمدنيين وحصاره للمدن وهدمه المنازل والبنى التحتية وإظهار كل فعلة من أفعاله أمام الرأي العام العالمي، خصوصاً أن العالم أصبح صغيراً مع ثورة تقنية المعلومات ومنها نظام الاتصالات المختلفة مثل البث المباشر عبر الفضائيات وشبكة الإنترنت وغيرها من وسائل الإعلام المسموع والمقروء والمشاهد.

نعم إن التعبير عن الفرح أو الترح لا يمكن أن يقبل إذا كان يؤدي الى ضرر بالممتلكات العامة أو الخاصة ولا يمكن أن يقبل أيضاً إذا كان فيه خروج على النظام العام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لأنه إذا فعل ذلك فإنه يصنف ضمن قائمة التخريب والعنف والإرهاب.

لذلك فإنه من الأجدر بالدول العربية أن تقوم بتقاسم الأدوار وبصورة مستمرة بحيث تصبح المواقف الرسمية مدعومة بالمواقف الشعبية التي يمكن تنظيمها بصور وأشكال مختلفة حسب ظروف كل دولة وإمكانياتها، فالدول الغنية يمكن أن يكون التعبير الشعبي فيها لمؤازرة أهل غزة، على شكل تبرعات عينية ومادية وفي الدول ذات الكثافة السكانية يمكن أن يستعمل الشارع للاحتجاج بصورة حضارية منظمة تتشكل وتتطور حسب الأحداث واتجاهاتها ناهيك عن استخدام وسائل الإعلام المختلفة في جعل تلك الأحداث في مقدمة أخبارها وتغطياتها وأنا هنا لا أقصد تأجيج الرأي العام العربي عاطفياً بقدر ما أقصد من ذلك إرسال رسالة واضحة للدول التي تساعد إسرائيل مادياً ومعنوياً بأن مثل ذلك الدعم مرفوض ليس فقط من خلال الناطق الرسمي لهذه الدولة أو تلك بل هو مرفوض من قبل عامة الناس.. ذلك انهم يحسبون لرأي الشارع ألف حساب في تخطيطاتهم وبرامجهم وبالأحرى مصالحهم العامة والخاصة فهم دائماً بعيدو النظر في هذا الخصوص وكل حدث لديهم يقاس نجاحه من فشله عن طريق استقراء ميول وتوجهات الرأي العام.. ناهيك عن استعماله كمجلة أمام الضغوط لاتخاذ مواقف إيجابية.

وعلى الرغم من أن الاحتجاج بحد ذاته هو لغة العاجز إلا أنه عند الضرورة وفي غياب البديل يجب أن يستعمل كحد أدنى لرفع الظلم لذلك فإن أسلوب الاحتجاج العربي الحالي يجب أن يتغير ويصبح أكثر عصرية وأن يصبح الشجب أو الاستنكار مدعوماً بوسائل أخرى أكثر فعالية وأكثر أثراً وأبعد من مجرد كلمات مختصرة تذروها الرياح ويطويها النسيان لذلك فإن التكرار وإعادة تغطية الأحداث بصور وأشكال مختلفة يجعلها في مقدمة الأحداث العالمية دائماً مما يضفي عليها أهمية كما يضمن عدم نسيانها خصوصاً مع الصخب الإعلامي الحالي الذي يجعلك تنسى أحداث الأمس القريب.

وبالطبع مثل هذه الاستراتيجية يمكن تبنيها من حيث المبدأ من قبل كل دولة عربية حتى وإن كانت منفردة في غياب الإجماع وهذا يخلق منافسة شريفة تغطي التصور الحاصل. كما يجب أن يكون للجامعة العربية دور فاعل فيه وأن تتخلى الجامعة العربية عن دورها الجامد والروتيني وتتبنى سياسات أكثر فعالية. إن الجامعة العربية ظلت طوال حياتها أشبه بالرجل المريض الذي لا حول له ولا قوة لقد آن الأوان لكتابة ميثاق الجامعة العربية بصورة أكثر عصرية يفتح للمناورة بابا أوسع ويجعل لمكاتبها المنتشرة هنا وهناك حضورا دائما من خلال التنسيق المدروس والمتفق عليه وأن لا يقتصر دورها على النشاط الشخصي لأمينها العام.

إن العالم العربي مطالب الآن أكثر من أي وقت آخر بتعزيز مكانة الجامعة العربية وإعطائها صلاحيات أكثر خصوصاً مع التوجه العالمي لخلق تكتلات اقتصادية وإقليمية عملاقة.

فهذه أوروبا تتحد وتنسى الاختلافات العرقية والايدلوجية واللغوية بين شعوبها بما في ذلك حربين عالميتين وهذه أمريكا وكندا والمكسيك تعمل على خلق عملاق اقتصادي منافس وهذه الصين ودول جنوب شرق آسيا تتكامل مع بعضها البعض وفي مقابل ذلك نتمنى أن يتفق العرب على الحد الأدنى في مجال التنسيق والتكامل السياسي والاقتصادي والعسكري فإن لم يكن ففي مجال الاحتجاج على ما يفعل بكرامتهم من استهانة وعدم اكتراث من قبل

اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 09-01-2009 رقم العـدد: 14809 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 160 رقم القصاصة: 3

الآخرين وذلك أضعف الإيمان.

نعم إن بعض العرب هم السبب في بعض ما يحدث من اتهامات والسبب ان كل واحد منهم يعمل بمفرده وبما تقتضيه مصلحته الشخصية بعيداً عن مبادئه فلو جعلوا المبدأ والمصلحة العامة هما المعيار لاتحد العرب خصوصاً انه يجمعهم تاريخ واحد ولغة واحدة وموقع جغرافي متصل ومتكامل ناهيك عن ان لهم مبدأ واحدا وهو الإسلام وهو ما ظلت المملكة العربية السعودية تنادي به منذ بداية تأسيسها على يد المؤسس الراحل الملك عبدالعزيز رحمة الله عليه ثم أبنائه من بعده حتى عهد خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين، فكل المبادرات الجيدة تجدها تنبع من هنا كيف لا ونحن نحكم شرع الله في السر والعلن ونجعله دستورنا الذي لا يمكن لبشر أن يعدل فيه فهو من تنزيل رب العالمين. كيف لا وأرضنا تضم الحرمين الشريفين حيث قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم وإليهما يحجون ويعتمرون من جميع أنحاء المعمورة على مر السنين.

وفي الختام أحب أن أشير الى أن على العرب إيجاد السبل والوسائل التي توحد رأيهم وتضمن حقوقهم فالعدو قد قسم نفسه إلى دوائر وأحزاب سياسية منها الصقور ومنها الحمائم ومنها الوسط وتظاهروا بالاختلاف مع أنهم متفقون بينما العرب يتظاهرون بالاتفاق مع أنهم مختلفون والدليل على ذلك ان خلاف الأعداء لا يتعارض مع مصالحهم بل يصب في صلب تلك المصلحة بينما الاتفاق الظاهري للعرب لم يخدم مصالحهم فقراراتهم في كثير من الأحيان لا تجد طريقها إلى التنفيذ بسبب الاختلاف الباطني ناهيك عن عدم وجود من يدعم مواقف الرفض لديهم فظهورهم دائماً إلى الحائط.. وأما سياسة الاختلاف الظاهري التي تستخدمها إسرائيل لتحلل من التزاماتها وتستخدمها كثيراً من دول العالم المتقدم حيث تجد ان كل دولة يتنافس على إدارتها حزبان أو أكثر متعارضة ظاهرياً ومتفقة داخلياً على المبدأ العام.. الذي لا يمكن المساس به وأبعد من ذلك تجدهم متفقين على المصلحة العليا لبلادهم فهم يتنافسون فيمن يستطيع أن يحقق قصب السبق في هذا المجال، اننا نستطيع أن نقول من تعلم لغة قوم أمن مكرهم ومن استفاد من تجارب الآخرين عرف سر نجاحهم.

وعلى العموم فإن العرب اليوم مطالبون بتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني وتوثيق علاقاتها مع مثيلاتها في المجتمعات الغربية حتى يسهل عليها نقل الصورة الحقيقية والواقعية لما يتعرض له العرب بصورة عامة من تشويه واجحاف ولما يتعرض له الفلسطينيون بصورة خاصة من ظلم وقتل وسحل وتهجير.

إن فضح المؤامرة الصهيونية ووسائل إعلامها الجرارة لا يمكن أن يتم إلا من خلال اعلام قادر وناجح وذي أذرع طويلة وهذا يمكن تحقيقه بعد هزيمة الاحتكار حيث أصبح الفضاء وشبكة الانترنت ملكا لمن يخلص العمل ويملك القدرات العلمية والبشرية. وبدون ذلك سوف يظل العرب رمزاً للهزيمة والخنوع وعليهم أن يتجرعوا مرارة المهانة والذل والاحتقار وان يتحملوا ما لصق بهم من نعوت واتهامات مثل الإرهاب والهمجية والتخلف وغيرها مما يجعل الآخرين لا يلقون بالا لهم ولا لمشاكلهم ولا لمطالبهم العادلة كيف لا ومواقف العرب أنفسهم تجاه قضاياهم أكثر سلبية من غيرهم.. والله المستعان.

للتواصل ارسل SMS إلى الرقم 88522
تبدأ بالرمز (253) ثم الرسالة